مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2023/05/22م
تاريخ القبول: 2023/07/10م

الرضا في الشعر العربي القديم
المفهوم والدلالة

د. زكية بنت عوض بن يوسف الحارثي *
zalharthy@ksu.edu.sa

ملخص:

يهدف البحث إلى الوقوف على الرضا بمفهومه وألوانه في الشعر العربي ومعرفة دلالاته المختلفة، فكان تناوله للرضا رحبا لاسيما في مجالي الرضاء بالقضاء والقدر، واسترضاء المرأة، وأصحاب السلطة، حتى لنعده موضوعا من موضوعاته وغرضا من أغراضه. وقد قسم البحث إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: الرضا بمعنى التسليم والاقتناع والخضوع. المبحث الثاني: الرضا بمعنى الحب، والصفح، والعفو. المبحث الثالث: الرضا بمعنى الاختيار والانتقاء. المبحث الرابع: الرضا بمعنى الإعطاء حتى الاقتناع. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج منها: أن الرضا بمعنى الحب والصفح والتجاوز غالبا ما يرتبط باسترضاء الأدنى منزلة للأعلى منزلة: اجتماعية أو سياسية أو علمية أو غيرها. حازت المرأة قدرا كبيرا من موضوع الرضا في الشعر العربي، حيث سعى الشعراء إلى خطب ودها واسترضائها، واستعانوا في سبيل ذلك بكل الوسائل وسلكوا كل السبل؛ كونها المطلوبة والمعشوقة. كان الشعراء يستعينون بأدوات فنية ووسائل بلاغية لتأكيد ما يذهبون إليه، ومن ذلك أنهم غالبا ما يختتمون حديثهم عن الرضا بما يشبه المثل أو الحكمة؛ ليكون ذلك أشد تأثيرا في نفس المتلقي.

كلمات مفتاحية: دلالة الرضا، الشعر العربي، القضاء والقدر، التسليم والاقتناع، الاسترضاء.

أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الحارثي، زكية بنت عوض بن يوسف، الرضا في الشعر العربي القديم- المفهوم والدلالة ، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج5، ع3، 2023: 377-406.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

OPEN ACCESS
Received: 22-05-2023
Accepted: 10-07-2023

مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Consent (alrida) in Ancient Arabic Poetry: Concept and Significance

Dr. Zakia Bint Awad Bin Yusuf Al-Harthy *
zalharthy@ksu.edu.sa

Abstract:

This study aims to explore the concept and various manifestations of consent (al-rida) in Arabic poetry and understand its different connotations, ranging from those of accepting fate, pleasing women, and appeasing those in power, considering it as a subject and purpose within poetic themes. The study comes in four sections. Section one dealt with the concept of consent as surrender, conviction, and submission. Section two examined the term al-rida as love, forgiveness, and pardon. Section three focused on consent as choice and selection. Section four delved into consent as giving until acceptance. The study concluded with important findings. It revealed that consent in the sense of love, forgiveness, and transcendence was often associated with appeasing someone of higher social, political, intellectual, or other standing. Women occupy a significant place in the theme of consent and acceptance in Arabic poetry, as poets sought to praise and please them, utilizing various artistic tools and rhetorical devices to achieve their goals. Poets often concluded their discussions on consent and contentedness with proverbs or wisdom, enhancing the impact on the recipient.

Keywords: Consent connotations, Arabic poetry, Fate and destiny, Surrender and conviction, Appeasement.

*Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Harthy, Zakia Bint Awad Bin Yusuf, Consent (alrida) in Ancient Arabic Poetry: Concept and Significance, Journal of Arts for linguistics & literary Studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 5, I 3, 2023: 377 -406.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
https://doi.org/10.53286/arts.v5i3.1566

المقدمة:

لا شك أن المعنى يؤثر بمجمله في التفكير الإبداعي واللغوي الذي يتأثر بدوره بعوامل نفسية واجتماعية وثقافية، ولذا فلا عجب أن نرى العديد من الألفاظ ذات الدلالة المتعلقة بالرضا لا يكاد يخلو منها موضوع من موضوعات الشعر العربي القديم. هكذا بدت لفظة (الرضا) في الشعر العربي؛ إذ شغلت حيزا منه، وحازت مساحة باذخة من فكر الشاعر العربي، كما يعد أحد موضوعاته التي نالت اهتمام الشعراء منذ العصور الأولى، باعتباره أحد القضايا الإنسانية التي تتعلق بالفكر البشري.

وقد ترددت معانيه في سياق الشعر العربي بصيغها الصرفية المختلفة مشبعة بدلالات القناعة والتسليم بما يشغل فكر الإنسان ويقض مضجعه من أحزان اليوم وهموم الغد، وقد تناولته النصوص على أنه سلوك قويم ممدوح، يمارسه الإنسان السوي، كما عالجته من خلال دلالته المعجمية والنحوية والبلاغية.

جاء هذا البحث نتيجة لما وجدناه من إغفال لموضوع "الرضا في الشعر العربي" في الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية، وذلك بعد أن بحثنا عن تناول حقيقي لهذا الموضوع فلم نقع على دراسة وافية أو بحث قد أُفرد له؛ فقد كانت دراسته أدبيا ضمن بعض المؤلفات في إشارات عبر صفحاتها، كالذي نجده في "أحسن ما سمعت" للثعالبي، أو "بهجة المجالس وأنس المجالس" للقرطبي أو "صيد الأفكار" لحسين بن محمد المهدي، أو "الزهد في الشعر العربي" لسراج الدين محمد. على أنها مجموعات تقتصر في كثير منها على الجمع والترتيب دون الشرح، والتحليل.

ومن ثم فإن أهمية البحث تأتي من أهمية الموضوع الذي يتناوله، وهو: الرضا في الشعر العربي (المفهوم والدلالة)، إذ إن هذا الموضوع من الموضوعات الجديدة التي لم تُدرس من قبل –بحسب علم الباحثة- ولذا فإن المراجع الحديثة في هذا الموضوع غير متوافرة.

لذا سيتطرق هذا البحث لدراسة موضوع "الرضا" ودلالاته في الشعر العربي، متخذا من بعض آليات المنهج الأسلوبي مسلكا له يمكن من خلاله تتبع صورة الرضا في الشعر العربي، والوقوف على مفهومه وألوانه ودلالاته؛ مما فرض بعض التساؤلات التي سيحاول البحث الإجابة عنها، والوقوف عليها وهي كالتالي:

- ما هي الأشكال التي وردت فيها صورة الرضا في الشعر العربي القديم؟

- ما هي الدلالات التي يحملها مفهوم الرضا في الشعر العربي القديم؟

فكُتبت هذه الدراسة منتظمة في مدخل وأربعة مباحث وخاتمة، وبيانها كالتالي:

المدخل: عُرض فيه مفهوم الرضا لغة، واصطلاحا من منظور الدراسات النفسية والدينية، وكذا مفهومه في الشعر العربي من خلال نماذج على ذلك.

المبحث الأول: الرضا بمعنى التسليم والاقتناع والخضوع.

المبحث الثاني: الرضا بمعنى الحب والصفح والعفو.

المبحث الثالث: الرضا بمعنى الاختيار والانتقاء.

المبحث الرابع: الرضا بمعنى الإعطاء حتى الاقتناع.

الخاتمة: وفيها ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج.

مدخل:

تناولت المعاجم العربية لفظة الرضا بمقابلها: السخط. والسخط: الكراهية للشيء، وعدم الرضا. يقال: رَضِي يرْضَى رِضًا ورُضًا ورِضْوانًا ورُضْونًا فهو راضٍ من قوم رُضاة، وارتضيته، فهو مرضي[1]، وفعله يتعدى بحرفي الجر: (عن) و(على)، بيد أنهم استحسنوه بـ (على)؛ لأنه لما كان الفعل رضيت ضد سخطت عُدِّي رضيت بـ (على)؛ حملا للشيء على نقيضه[2]. فالرضا مصدر: رضي يرضى رضىً، وأصل يائه واو، لأن مادته: ر ض و ، فنقول: الرضوان، وهو خلاف السخط[3]. ومن ثم فإن من معاني الرضا[4]:

-الاختيار والقبول: رضِيه صديقًا/ رضِي به صديقًا/ رضِي عليه صديقًا/ رضِي عنه صديقًا: اختاره وقبِله.

-التسليم والاقتناع: رضِي بحكم الله: سلَّم واقتنع- رضِي بما آتاه اللهُ: قنع.

- الاختيار والمناسبة: رَضِي فلانٌ فلانةً زوجةً له: اختارها ورآها أَهْلًا له، مناسِبة له.

-الاكتفاء: رَضِي منه كذا: اكتفى به.

-الحب: رضِي عن فلان: أَحبَّه.

ويخرج معناه الاصطلاحي من رحم نظيره المعجمي؛ إذ الرضا: "سكون القلب تحت جريان القضاء، وسرور القلب بمُرّ القضاء"[5]، وهو "سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وألا يتمنى المرء خلاف حاله"[6]، فدلّ على أنه من أعمال القلوب، بيد أن مردوده بائن ظاهر في الجوارح؛ إذ لما كانت

مقتضياته توجب التسليم بالقضاء، و"ارتفاع الجزع في أي حكم كان"[7]، فقد أوجب سكون الجوارح لسكون القلب، ولو جزع لبدا الجزع على الجوارح، قال رسول –ﷺ –: "ألا إنّ الغضب جمرةٌ توقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حُمرة عينيهِ، وانتفاخ أوداجه؟ فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرضَ الأرضَ، ألا إنّ خير الرجالِ من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشرّ الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا."[8]

أما عن حقيقة الرضا فقد ذهب ابن قيم الجوزية إلى أنه من جملة الأحوال التي ليست بمكتسبة، بل هو موهبة محضة[9]، بينما ذهب ابن الأعرابي إلى أنه مكتسب من الانطراح والتسليم لما يجريه الله[10]، وعلى مطلق الأحوال الثلاثة فمن المفترض أن يكون الرضا هدفا أساسيا لكل إنسان؛ فالرضا مفتاح الانفتاح على الحياة، والشعور بالرضا متطلب مهم للشعور بالتفاؤل والسعادة. والإنسان الراضي هو الذي يقيّم حياته بجميع أبعادها المختلفة ومنها ذاته، فيعدل فكره وسلوكه من خلال تجاربه في الحياة؛ فـ"الرضا يتمثل في معتقدات الفرد عن موقعه في الحياة وأهدافه وتوقعاته واهتماماته في ضوء المنظومة الثقافية والقيمية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه."[11]

تذهب الدراسات النفسية إلى إمكانية تحقيق الرضا من خلال توافر حاجات النفس البشرية كأن "يكون معافى في بدنه ومشبعا لحاجاته الفسيولوجية وملبيا للمتطلبات الاجتماعية مع الآخرين، وحسن السيرة بين الناس وناجحا في عمله، وقادرا على أداء المهمات الصعبة، كما يجب أن يمارس هواياته المحببة، ومستمتعا بالمناظر الطبيعية، وأن يكون صحيح الفكر وسليم الاعتقاد، وأن يكون راضيا عن ذاته"[12]، على أن هذه المتطلبات قد تختلف باختلاف الأفراد حسب توجهاتهم وقيم مجتمعاتهم وبيئاتهم، وقد تختلف باختلاف المرحلة العمرية وأولوية هذه الأهداف[13].

والحقيقة أن تحقق هذه المتطلبات غير مُجدٍ في تحقيق الرضا سوى عند قلة من الأفراد؛ فالنفس البشرية مجبولة على حب الكثرة والتطلع إلى المستقبل، وتحقيق الطموحات والآمال لاسيما الشباب، فإن بلغ الفرد مرامه في وسطه الاجتماعي وضع نفسه في مقارنة مع المجتمعات الأخرى بل والدول المختلفة، وما تم تحقيقه وإنجازه على مستواه الشخصي، فلا ينفك في الإقبال على الكثرة منه والبحث عما يشبع رغباته ويحقق ذاته، لذا فمفهوم الرضا بهذا المنظور سيكون مستحيلا عند عامة الناس، إلا أننا كثيرا ما نجد الرضا عند الفقراء، أما الزّهاد والأنبياء والعُبّاد فقد أصبحوا مضرب المثل في الرضا بكل ما كتب لهم.

أما في الشعر العربي فقد نُظر إلى الرضا نظرة موضوعية تجمع بين الواقعية والمثالية في حيز مفهومه المعجمي والاصطلاحي؛ فقد تناول الشعراء العرب الرضا على أنه من جملة المقامات ومثالية الأحوال، هذه النظرة الشمولية تنم عن وعي بمفهومه ومقتضياته؛ فقد شغل حيزا لا بأس به من دواوين الشعر العربي، واختلط بجُلّ أغراضه، فكثير من قصائده اتخذت من الرضا في مطلعها قاعدة تنطلق منها إلى غرضها، فإن لم يكن ففي ختامها الذي جرت العادة أن يوشح بالحكمة.

وبما أن الرضا موضوع نفسي فإن محاولة تقديمه في درس أدبي يعد أمرا فيه نوع من الصعوبة، لأن ذلك سيجعل الكلام مزيجا من الأدب وعلم النفس، مما سيؤدي في الأخير "إلى ممارسة نوع من الخطاب يصعب تصنيفه ضمن علم النفس، بقدر ما يصعب تصنيفه ضمن الدرس الأدبي"[14].

غير أننا سنحاول ربط مفهوم الرضا بالمشاعر النفسية والأحاسيس الوجدانية والعاطفية للفرد وتحليلها تحليلا أدبيا وفنيا، فالرضا انعكاس حقيقي لما يدور في النفس البشرية، وهو صورة مصدرها المشاعر والعواطف، وآلية تنبض بالأحاسيس الذاتية تجاه ما يلاقيه الشاعر، فيصوغه في قالب شعري بأسلوب بياني بديع[15].

تناول الشعر العربي الرضا بمفهومه المباشر وغير المباشر؛ للتعبير عن المعاني المختلفة بطرق شتى؛ ذلك أن "أهم ما يميز لغة الشعر، صدق التعبير عن الأفكار والخواطر الوجدانية عن طريق الإيحاء، فالشعر خلق لغوي جمالي ممتع، يبتعد عن التعبير المباشر وعن لغة التقرير"[16]، فتارة نجد الشاعر يصرح به بصيغة المصدر، وتارة بصيغه الصرفية المختلفة، كما أنه -في أحايين كثيرة- تناوله بمفاهيم متشابهة ومرادفات قريبة كالقناعة واليقين والتسليم، كما تناوله من خلال أضداده، فيعرفه من خلال التعريض بالسخط والتذمر والغضب، وكلها تلتقي حول مفهوم واحد هو التسليم وترك الاختيار وسكون القلب للقضاء.

فمن التعبير عن الرضا بالمصدر قول أبي العتاهية[17]:

وبالرضى والتسليم ينقطع الـ ـهمّ، وبالكبر يكثر العطبُ
وفي جميل القنوع ينخفض الـ ـعيشُ وبالحرصِ يعظمُ التعبُ
إن الغنى في النفوسِ، والعـ ـزُّ تقوى الله لا فضةٌ ولا ذهبُ

في هذه الأبيات يتحدث أبو العتاهية عن مفهوم الرضا في بعض صوره، وهو تسليم المرء واقتناعه بما كُتب له من خير أو شر، إذ عطف التسليم على الرضى، وهذا من باب عطف الشيء على مرادفه، الذي يزيد المعنى قوة ووضوحا.

ومن التعبير عن الرضا باسم الفاعل، قول الصلتان العبدي وقد حكّمه جرير والفرزدق بينهما[18]:

فإن كنتما حكّمتماني فأنصتا ... ولا تجزعا وليرضَ بالحكم قانعُ
فإن تجزعا أو ترضيا لا أقِلكما ... وللحق بين الناس راضٍ وجازعُ
فأقسم لا آلو عَنِ الحق بينهم ... فإن أنا لم أعدل فقل أنت ظالعُ

أما التعبير عن الرضا بالفعل فمثاله قول يحيى بن معاذ الرازي[19]:

رضيتُ بسيّدي عِوَضًا وأنسًا ... مِنَ الأشياء لا أبغي سواهُ
فيا شوقا إلى ملكٍ برانـي ... على ما كنت فيه ولا أراهُ

وقول بشر بن الحارث[20]:

قطع الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهمّ والقلقِ
أحرى وأعذر لي من أن يقال غدًا ... إني التمست الغنى من كفّ مختلقِ
قالوا قنعت بذا قلت القنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والورقِ
رضيت بالله في عسري وفي يسري ... فلست أسلك إلا أوضح الطرقِ

وأما التعبير عن الرضا بمرادفاته، كالقنوع، والقناعة، والتسليم فمنه قول أبي العتاهية:[21]

إنّ الغنِيّ هُوَ القَنُوعُ بعينهِ ... ما أبْعَدَ الطّمِعَ الحرِيصَ منَ الغِنى
لا تَشْغَلَنَّكَ، لَوْ وَنِيتَ عنِ الّذي ... أصبَحْتَ فيهِ، لا لعَلَّ، ولا عسَى

فالغني هو غنيّ النفس وإن قل ماله؛ لأنه قنع بما عنده، ولذا فقد اقترنت لفظة الرضا بالقناعة، وشاع تعريف الراضي بالقانع، "فَالْقَانِعُ: السَّائِلُ؛ وَسُمِّيَ قَانِعًا لِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ يَسْأَلُهُ،... ويقولون: قنع قناعة إذا رضي، وسميت قناعة؛ لأنه يُقبل على الشيء الذي له راضيا"[22]. يقول الإمام علي[23]:

فـــاقنع ففـــي بعـــض القناعـــة راحـــةٌ واليـــأس ممـــا فـــات فهـــو المطلـــبُ
وإذا طمعـــت كُســـيت ثـــوب مذلـــة فلقـــد كُســـي ثـــوبَ المذلـــة أشـــعبُ

ويقول علي بن الجهم[24]:

مـــا كـــل مـــا فـــوق البســـيطة كافيـــا فـــإذا قنعـــت فكـــل شـــيء كـــافي

ويلخص أبو العتاهية رؤيته السابقة لمفهوم الرضا، بقوله[25]:

ربّمـــا ضـــاق الفتـــى ثـــم اتّســـع وأخـــو الـــدنيا علـــى الـــنقص طُبِـــعْ
إن مـــنْ يطمـــع فـــي كـــل مُنَـــى أطْمعتـــهُ الـــنفسُ فيـــه لَطَمِـــعْ
وقُنُـــوعُ المـــرء يحمـــي عرضـــه بـــل قريـــر العـــين إلاّ مـــن قنِـــعْ
وســـرور المـــرء فـــي مـــا زاده وإذا مـــا نقـــص المـــرء جـــزِعْ
عِبـــرُ الـــدنيا لنـــا مكشـــوفة قـــد رأى مـــن كـــان فيهـــا وسـمِعْ
وأخـــو الـــدنيا غـــدًا تصـــرعه فبـــأي العـــيش فيهـــا ينتفِـــعْ
واعتقـــاد الخيـــر والشـــر أســـىً بعضـــنا فيهـــا لـــبعض مُتّبِـــعْ

المبحث الأول: الرضا بمعنى: التسليم والاقتناع والخضوع

إن الرضا بمعنى التسليم والاقتناع والخضوع مصطلح متعدد الصور والأوجه، فقد يكون تسليما بقضاء الله وقدره، أو بصروف الزمان، وقد يكون تسليما بقلة الرزق، كما قد يكون تسليما بما يحصل للمرء من هجر محبوبه، أو تسليما من المغلوب بما فرضه عليه الغالب، وهذا لا يكون إلا إذا كان الراضي هو الأضعف، والأدنى منزلة، إذ ليس أمامه إلا التسليم والرضا، بل والتصبر على ما حل به، فقد يكون التسليم والرضا باقتناع، مثل اقتناع الزهاد والعباد، وقد يكون غير ذلك، كما سنبينه فيما يأتي.

لعل مسألة الرزق كانت أبرز المسائل وأكثرها التصاقا بمفهوم الرضا؛ لشمولية مدلوله وشدة التصاقه بفكر الإنسان؛ فالقوة رزق، والمال رزق، والزوجة رزق، والولد رزق، والصاحب رزق...إلخ، وقد اقترن الرضا في الشعر العربي بهذه المفردات، فإذا قنع الإنسان بقسمته منها كان راضيا، وإن سخط كان هلعا جزعا، يقول أبو العتاهية[26]:

ولـــئن قنعـــتَ لتظفـــرنّ بمـــا فيـــه الغنـــى والراحـــة الكبـــرى
ولـــئن رضـــيتَ علـــى الزمـــان، فقـــد أرضـــى وأغضـــب قبلـــك النـــوكى
والـــرزق قـــد فـــرضَ الإلـــهُ لنـــا منـــه، ونحـــن بجمعـــه نعنـــى
حقـــا لقـــد ســـعدتْ ومـــا شـــقيتْ نفـــسُ امـــرئ رضـــيتْ بمـــا تُعطـــى

فالشاعر هنا ينظر إلى الرضا بما كتبه الله للإنسان من رزق نظرةَ الزاهد الورع، الذي لا يلهث وراء ملذات الحياة، ولذا فهو يرى أن الرضا بذلك سبب يؤدي إلى السعادة، والسخط على ذلك طريق يؤدي إلى الشقاء والحسد، مع أن ذلك لن يغير من الواقع شيئا.

وقد عزز الشاعر فكرته من خلال اتكائه على المقابلة بين المتضادات، مثل: (أرضى- أغضب، سعدتْ- شقيتْ)، فالمقابلة بين المتضادات تعمل على إبرازهما، ذلك أن المقابلة بالأضداد أفضل منها بدونها[27]، قال السكاكي: المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين فأكثر، ثم إذا شرطت هناك شيئًا شرطت هناك ضده[28]. كما عزز ذلك من خلال الشرط المقترن بالقسم: (لئن، ولئن)، وكذلك من خلال استعمال حرف التحقيق (قد) ثلاث مرات، وهي أساليب بلاغية تقوّي ما يذهب إليه وتؤكده.

لقد كان هذا مذهب أبي العتاهية، وديدنه، فهو شاعر الزهديات الذي انصرف عن الدنيا، وسما إلى التنسك والتقشف، ومن ذلك قوله[29]:

مـــا لـــي علـــى فـــوت فائـــت أســـفُ ولا تراننـــــي عليـــــه ألتهـــــفُ
مـــا قـــدَّر الله لـــي فلـــيس لـــه عنـــي إلـــى ســـواي منصـــرفُ
فالحمـــــد لله لا شـــــريك لـــــه مـــا لـــي قـــوت وهمـــي الشـــرفُ
أنـــا راض بالعســـر واليســـار فمـــا تـــــدخلني ذلـــــة ولا صـــــلفُ

يبرز الشاعر رضاه بما قدره الله له بطرق متنوعة، ويمهد للرضا بممهدات تحمل المعنى ذاته ولكنها بصيغ مختلفة، فهو يستعمل النفي (ما لي، لا تراني، فليس له) أداة لدفع أي توهم في أنه يطمع في غير ما هو له، كما يستعمل جملة الدعاء (الحمد لله) التي توحي بزيادة رضاه، بل وإيمانه بأن ما يملكه هو أكثر مما كان يطمح إليه، أو يستحقه، وهذا منتهى الرضا والقناعة، ثم يختم ذلك بالجملة الاسمية (أنا راض) الدالة على الثبوت والدوام[30]، أي دوام رضاه بما قدره الله له طوال حياته، وهذا أبلغ من التعبير بالجملة الفعلية التي تدل على التقلب والتغير من حال إلى حال.

ويقول الشافعي[31]:

وما كنتُ أرضى مِنْ زماني بما ترى ولكنني راضٍ بما حَكَمَ الدهْرُ
فإنْ كانتِ الأيَّامُ خانتْ عُهودنا فإنّي بها راضٍ ولكنَّها قَهْرُ

إذا كان الرضا عند أبي العتاهية رضا مقرونا بالقناعة، وطيب الخاطر؛ كونه كان زاهدا في الحياة، فإن الرضا هنا ليس رضا عن قناعة، ولكنه رضا بالمقسوم والمكروه الذي لا يمكن دفعه، أو الخلاص منه، فهو رضا من نوع آخر، بدلالة النفي في قوله: (وما كنت أرضى)، والتصريح بلفظ القهر والغلبة في قوله: (ولكنها قهر)؛ إذ لو استطاع الفكاك من حظه هذا لفعل، ولكنه عاجز عنه، وليس أمامه إلا الصبر والتحمل.

ومثلما كان الرضا بالمقسوم من الرزق قد تبدى كثيرا في الشعر العربي، فإن الرضا قد اقترن بموضوعات أخرى، ليس لها علاقة بالرزق، أو القضاء والقدر، ومن ذلك قول المتنبي يصف حال ملك الروم بعد أن هزمه جيش سيف الدولة[32]:

رضينا والدُّمُسْتُقُ غيرُ راضٍ بما فعلَ القواضبُ والوشيجُ

فالشاعر يبدع في تصوير الهزيمة التي لحقت بملك الروم من جيوش المسلمين، من خلال التركيز على حالة الغضب والسخط والغليان التي تعتلج في نفس الدمستق، ملك الروم، وهو سخط وغضب من جيش المسلمين الذي نكل به وبجيشه، والذي أشار إليه بـ(القواضب والوشيج)، أي: السيوف والرماح، ويتضح ذلك أكثر من خلال المقابلة بين رضا المنتصر (المتكلم) "رضينا"، وسخط المهزوم (الغائب) "والدمستق غير راض"، ومن خلال الاستعارة المكنية (فعل القواضب والوشيج)؛ فكأنها هي التي قتلتهم من تلقاء نفسها؛ زيادة في تصوير امتثالها لأوامر حاملها، فـ"الصورة باعتبارها أنواعا بلاغية، هي بمثابة انتقال أو تجوز في الدلالة؛ لعلاقة مشابهة، كما يحدث في التشبيه والاستعارة بأنواعها، أو لعلاقة تناسب متعددة الأركان، كما يحدث في الكناية أو أضرب المجاز المرسل"[33].

ويقول أبو العلاء المعري في الشكوى من الزمان، والدنيا[34]:

منك الصدود ومني بالصدود رضا من ذا عليّ بهذا في هواك قضى؟
بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا
إذا الفتى ذم عيشًا في شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى؟

وقـــد تعوضـــت عـــن كـــلٍّ بمشـــبهه فمـــا وجـــدت لأيـــام الصـــبا عوضـــا
جرّبـــت دهـــري وأهليـــه فمـــا تركـــت لـــي التجـــارب فـــي ودِّ امـــرئ غرضـــا

يخاطب الشاعر الدنيا معاتبا لأنها صدت عنه، وأقبلت على غيره ممن هو أدنى منه، ولكنه لم يسخط من صدودها وهجرانها إياه، بل العكس فقد قابل ذلك راضيا قانعا بما معه، زاهدا عنها وعما في أيدي الناس، ولعله بردة فعله هذه قد أسخطها، حيث لم تسخطه، ثم يتساءل متعجبا: من الذي قضي عليّ بهذا في هواك؟! فالاستفهام هنا ليس استفهام مستفسر، إنما هو استفهام مشفق على نفسه؛ لأنَّه يعلم أنَّ حُبَّ الدنيا مما جبلت عليه النفس البشرية.

ولما كان رافضا لها -كما كانت رافضة له- فإنه قد أكد ذلك الرفض والصد بأكثر من مؤكد، ومن ذلك: النفي الدال على الرفض (ما طلعت - ما ومضا - ما وجدت - ما تركت)، ومنه أيضا الشرط المقرون جوابه بالنفي، وقد استعمله لإفحام الدنيا، وإقامة الحجة عليها بأن طالبها لا يلقى منها إلا المهالك والردى.

ومن دلالات الرضا على القبول والتسليم والخضوع قول الشاعر واصفا جمال امرأة على ألسنة بعض زينتها: السوار والخلخال والوشاح[35]:

وذات تـــــاج رصّـــــعوا دوره فـــزاد فـــي لألائهـــا بـــاللآلْ
كأنّهـــا شـــمسٌ وقـــد توّجـــت بـــأنجم الجـــوزاء فـــوق الهـــلالْ
قـــد اشـــتكى الخلخـــال منهـــا إلـــى ســـوارها فاشـــتبها فـــي المقـــالْ
وأجريـــا ذكـــر الوشـــاح الـــذي لمّـــا يـــزل مـــن خصـــرها فـي مجـــالْ
فقـــال: لـــم أرض بمـــا نلتـــه وليتنـــي مثلكمـــا لا أزالْ
أغـــصّ بالخصـــر وأعيـــا بـــه كغـــصّ ظمـــآنٍ بمـــاء زلالْ
وإنّمـــا الـــدهر بغيـــر الرضـــى يقضـــي فكـــلٌّ غيـــر راضٍ بحـــالْ

لم يقتصر موضوع الرضا على الأمور الجدية والحقيقية التي يعيشها الإنسان، بل تجاوز ذلك إلى الخيال المحض، ذلك أن للخيال فاعلية تتمثل في إعادة "تشكيل المدركات، وتبني منها عالما متميزا في جدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة، والعناصر المتباعدة في علاقة فريدة، تذيب التنافر والتباعد، وتخلق الانسجام والوحدة"[36]، وهو -كما يرى كولريدج- طاقة حية وعامل رئيس في كل إدراك إنساني، وتكرار لعملية الخلق الخالدة في الـ "أنا" غير المتناهي[37].

فقد أجرى الشاعر هنا مناظرة وحوارا قصصيا بين أدوات زينة المرأة، وهي مناظرة الغرض منها وصف جمال تلك المرأة وأنوثتها ورقتها، فقد اشتكى خلخالها إلى سوارها مما يلقاه من نعومة جسمها، ولين ملمسه، فرغم ملامسته لرِجْلها فإنه لا يظفر منها بشيء مما يظفر به العاشق (الرَّجُل)، فوقع ذلك من السوار موقعا مناسبا، إذ إنه يعاني من الأمر ذاته، فالتفتا إلى الوشاح لينصفهما؛ ولكنه كان أشد منهما سخطا مما يلاقيه منها، فإذا اشتكيا وهما في الرجل واليد، فكيف به وهو الذي يحتضن خصرها، موطن جمالها، ورمز أنوثتها؟!

ويختتم الشاعر حوارهم بحكمة على لسان الوشاح، مفادها أن المرء مهما حصَّل في هذه الحياة، ومهما امتلك من أشياء، فإنه يظل ساخطا غير مقتنع، وتظل نفسه تطمح للمزيد: "وإنّما الدهر بغير الرضى... يقضي فكلٌّ غير راضٍ بحال".

المبحث الثاني: الرضا بمعنى: الحب، والصفح، والعفو

من الدلالات التي يحملها "الرضا" في الشعر العربي: الدلالة على الحب، والتجاوز عن الزلة، والصفح عن الإساءة، وهذا يعد من شيم الكرام، ونبلاء القوم وعليتهم، ومن يحملون هموما أكبر من فكرة الانتقام من الآخرين الذين أساؤوا إليهم، أو خذلوهم، إذ الحقد من طبيعة الضعفاء والعاجزين، ومن ذلك قول أبو فراس الحمداني[38]:

ولما تخيرت الأخلاء لم أجد ... صبورا على حفظ المودة والعهدِ
سليما على طي الزمان ونشره ... أمينا على النجوى صحيحا على البعدِ
ولما أساء الظن بي من جعلته ... وإياي مثل الكف نيطت إلى الزندِ
حملت إلى ضني به، سوء ظنه ... وأيقنت أني بالوفا أمة وحدي
وأني على الحالين في العتب والرضى ... مقيم على ما كان يعرف من ودّي

يُظهر أبو فراس سخطه على الناس من خلال نثر تجاربه مع البشر؛ فلطالما عايشهم فما وجد فيهم خليلا صبورا أمينا على سره، ولا حافظا لعهده حريصا على مودته، حتى فقد الثقة في كل الناس، لذا فقد اعتزل صحبتهم.

وعلى الرغم مما ناله منهم، فإنه لم يعاملهم بالمثل، فيقطع صلته بهم، ولكنه ظل على عهده، مبقيا على وده لهم، كما لو كان راضيا عنهم، فهو يقول عن نفسه: إنه سيظل حاملا لهم مشاعر الود

والوفاء في جميع أحواله، سواء كان عاتبا عليهم أم راضيا عنهم، فيستوي عنده سخطه ورضاه؛ لما يحمله من صفات القيادة، وأخلاق الفرسان.

وهذا النوع من الرضا هو رضا الأعلى مكانة -اجتماعية أو سياسية أو علمية أو غيرها- عمن هو دونه في تلك المنزلة؛ لأن الفعل منه يتعدى -غالبا- بحرف الجر (عن) الذي يفيد التجاوز والانتقال[39] من حال إلى حال. وهذا المعنى يطابق معنى الرضا هنا، إذ إنه يفيد الحب والتجاوز عن الزلل. وقد كثر هذا النوع من الرضا في شعر أبي فراس، إما في تعامله مع من دونه، أو في استرضائه سيف الدولة لافتدائه من أسر الروم. ومن ذلك قوله -أيضا- في محبسه[40]:

وكم لي على بلدتي ... بكاء ومستعبرُ
ففي "حلب" عدتي ... وعزي، والمفخرُ
وفي "منبج"، من رضا ... ه، أنفس ما أذخرُ
ومن حبه زلفة ... بها يكرم المحشرُ

بدا الشاعر الفارس مرغما على قبول وضعه في الأسر، راضيا بالسجن بدلا من وصمة العار التي قد تلحقه إن أظهر جزعه في محبسه، بيد أن هذا الجزع يصعب إخفاؤه؛ فهو لا ينفك يجزع ويتقلب في قلقه وخوفه، يتحسر على ما فاته في "منبج" من لذة أيامه الخالية، فحزنه متجدد لا ينقضي، ودمعه متصل لا يتوقف، لا يثنيه عن البكاء وإظهار الجزع سوى خوف قول الوشاة إنه غير صابر على ما أصابه، معزيا نفسه بأن سيف الدولة لن يتوانى عن افتدائه، وفي سبيل ذلك يتوسل إليه ويتلطف، ويخبره بأن رضاه عنه هو أغلى وأنفس ما يملك، وغاية ما يرجو. ويؤيد هذا الرأي توسله إلى سيف الدولة؛ رجاء فك أسره، بقوله[41]:

لأي عذر رددت والهة ... عليك، دون الورى معولها؟
جاءتك تمتاح رد واحدها ... ينتظر الناس كيف تقفلها
إن كنت لم تبذل الفداء لها ... فلم أزل في رضاك أبذلها
تلك المودات، كيف تهملها؟ ... تلك المواعيد كيف تغفلها؟
تلك العقود التي عقدت لنا ... كيف وقد أحكمت تحللها؟

إذا كان أبو فراس في القطعة الأولى يكشف عن رضاه عمن يظن أنهم دونه، وهم أصدقاؤه الذين لم يفوا له بعهد، فإنه في هاتين المقطوعتين يدرك الفرق بينه وبين مَخاطَبِهِ، وهو الأمير سيف

الدولة، فيصور نفسه في منزلة الضعيف المستكين الطامع في رضا سيده وابن عمه؛ بغية أن ينقذه من سجنه لدى الروم. وقد اعتمد الشاعر على المبالغة؛ طلبا للإبانة، وطمعا في إثارة مشاعر سيف الدولة وإقناعه، وهي مبالغة قد تكون مصطنعة، لاضطرار الشاعر إلى ذلك[42].

وقد استعمل أبو فراس صورتين من صور استرضاء سيف الدولة، ففي القطعة السابقة يذكر أن رضا الأمير أغلى وأنفس ما يملك، وهذا كان في بداية سجنه، ولكن لما طالت مدة السجن، تنازل عن شيء من كبريائه وبذل في رضا سيف الدولة (أمَّه) التي ذهبت لسيف الدولة تترجاه في فك أسر ابنها، وافتدائه، ولكنه خيّب ظنها، حيث لم يفعل شيئا!

وقد صور الشاعر تهاوُن سيف الدولة في تلبية طلب والدته بعدة وسائل فنية، منها الاستفهام المكرر أربع مرات، والذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي آخر هو الإنكار والاستغراب، إذ أنكر على سيف الدولة مماطلته في فك أسره، واستغرب أن يكون ذلك التصرف صادرا منه؛ نظرا لقربه منه فهو ابن عمه، وأخو زوجته، فأنكر نسبة تلك الأفعال إلى سيف الدولة عن طريق الاستفهام؛ "ليكون أشد لنفي ذلك وإبطاله، فإنه إذا نُفِي الفعل عما جُعل فاعلا له في الكلام، ولا فاعل له غيره، لزم نفيه من أصله"[43].

إن هذا اللون من الاسترضاء نلمسه -أيضا- في قول بكر بن النطاح الحنفي[44]:

عَرَضْتُ عليها ما أرادَتْ مِن المُنى ... لِترضَى فقالتْ: قُمْ فَجِئني بكوكبِ
فقلت لها: هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ ... كمَنْ يَتشهَّى لحمَ عَنقاءَ مُغْرِبِ

قدم الشاعر كل سبل الاسترضاء لتلك المحبوبة المتمنعة من أجل رضاها عنه، ولهذا كان رضاها غاية قدم لها الأسباب مشروطة بشرطها (ما أرادت من المنى)، بيد أن النتيجة جاءت صفرا، فكأن رضاها غاية لا تدرك؛ تقول له: (قُمْ فَجِئني بكوكبِ)، كأنها تطلب المستحيل. هذا التعنت يشبهه الشاعر بمن يشتهي لحم العنقاء وهو ضرب من المستحيلات في الوجود، فكيف بصيدها والتقرب بلحمها؟!! على أن رضاها لن ينقص من قدرها ولن يضرها، فلترحم قلبا براه حبها، يقول[45]:

ما ضرّها لوْ كَتَبَتْ بالرّضا ... فَجَفَّ جَفْنُ العينِ أو غَمَضَّا
شفاعَةٌ مردودةٌ عِنْدَها ... في عاشِقٍ تنْدمُ لوْ قدْ قَضَى

ما زال يترضّاها ويتوسل إليها من خلال تكرار لفظة (الرضا) التي هي غايته ومبتغاه منها، فلا تنفك ترده مغاضبة ساخطة، ولو مات كمدا من قِلاها وصدها لندمت على معشوق وَفَى وأخلص في حبه لها. هذه الصورة التي رسمها (بكر بن النطاح) لمعشوقته يختمها بقوله[46]:

غَضبى وَلا وَاللهِ يا أَهلَها لا أَشرَبُ البارِدَ أو ترْتضَى

لقد حرّم على نفسه البارد من الشراب حتى ترضى عنه، وهي صورة تبلغ في رسم صد المحبوبة وتمنّعها منتهاها؛ فكأن رضاها غاية مستحيلة لا تدرك.

من خلال أبيات بكر بن النطاح يتبين أن الاسترضاء هدف وغاية يسعى إلى تحقيقها الأدنى منزلة كما مر بنا سابقا، كما يسعى إليها الطالبُ لاسترضاء المطلوب، والمُحِبُ لاسترضاء المحبوب، والعاشق لاسترضاء المعشوق، وهذا هو شأن الرجل في علاقته بالمرأة.

فالمرأة لها سلطة قوية على الرجل؛ كونه الطالب لودها، وهي المطلوبة والمتمنعة -حتى لو كانت عاشقة له-، وبرغم هذا فإن سلطة المرأة قد تتجاوز الحد أحيانا، فيدعوها غرورها إلى المماطلة، وطلب المستحيل، فيظل الرجل عاجزا عن تحقيق رضاها عنه وعما يقدمه لها، وإقناعها، مهما بذل، كحال بكر بن النطاح.

وإذا كان استرضاء الرجل للمرأة فطرة وغريزة، بحكم تكوين كل منهما، وما جبلت عليه المرأة من الحياء في إبداء رغبتها، ودلالها على الرجل، في الأعم الأغلب، فإن الأمر في علاقة عنترة بن شداد بمحبوبته عبلة يختلف قليلا، ويزيد عليه، فهو يحاول استرضاءها لأنها غير راضية عنه بسبب سواد لونه؛ لذا فإن إحساسه بالنقص بسبب سواده قد استفزه ليقول[47]:

دعني أجِدّ إلى العلياء في الطلب وأبلغ الغاية القصوى من الرتبِ
لعل عبلة تضحي وهي راضية على سوادي وتمحو صورة الغضبِ

يدرك الشاعر جيدا أن محبوبته غير راضية عنه؛ نظرا لسواد بشرته الذي ارتبط بالوضاعة والدونية في المجتمع الجاهلي، وما يحمله ذلك من التخلي عنه حتى لو كان قريبا لها، وتربطه بها رابطة الدم والنسب، فقد "أطلقوا على هؤلاء السود اسما خاصا تمييزا لهم من سائر إخوانهم الهجناء، فسموهم "الأغربة" تشبيها لهم بذلك الطائر البغيض المشئوم في لونه الأسود، ونسبوهم في أكثر الحالات إلى أمهاتهم"[48]؛ ولذلك فقد سعى جاهدا إلى نيل رضاها عنه، ولم يجد سبيلا إلى ذلك إلا

السعي إلى بلوغ المجد، والبحث عن التفرد بالقيم والمثل العليا، والسيادة، فلعل ذلك يغير من نظرتها إليه، ويبدل السخط عليه إلى رضًا عنه، والجفوة إلى وصل، والكره إلى حب يعوضه عما فات.

المبحث الثالث: الرضا بمعنى: الاختيار، والانتقاء

يتمحور الرضا في هذا المبحث حول الدلالة على الاختيار، والانتقاء، فالشاعر قد يختار لنفسه أو لغيره شيئا ما، يراه مناسبا لمكانته، أو لمكانة غيره، وهذه الدلالة ترتبط في الغالب بالاعتزاز بالنفس، والاعتداد بها، كون الرضا هنا يتم بدون إكراه أو إجبار، وإنما يكون طواعية، ومن ذلك قول الوراق[49]:

إني رأيت الصبر خير مُعوّل ... في النائبات لمن أراد معوَّلا
ورأيت أسباب القنوع منوطة ... بعرا الغنى فجعلتها لي معقلا
فإذا نبا بي منزل لا يُرتضى ... جاوزته واخترت عنه منزلا

يتحدث الشاعر هنا عن نفسه العزيزة الأبية التي لا تقبل الضيم ولا الهوان، مصورا لها بصورة مفعمة بالكبرياء والشموخ، فهو لا يحل أو يسكن إلا حيث يُكرم ويُجل، وقد عبر الشاعر عن رفضه الذل والهوان بنفي رضاه عن ذلك (لا يُرتضى)؛ لأنه ارتبط بالمنزل الذي ينبو بالشاعر، أي المنزل الذي يرفضه، والمعنى: المنزل الدنيء الذي لا يناسب مقامه، فهو لا يختاره ولا يقبل به، وإنما يبحث عن مكانه اللائق به وبقدره.

إنه الاعتداد بالذات، والانتصار لها من أن تُنزل في غير منزلها المناسب، وقد مهد الشاعر للرضا بأسبابه التي تؤدي إليه حتما، فالصبر في النوائب، والعمل بالأسباب المؤدية إلى الغنى كلها عوامل تجعله راضيا عن نفسه، فإذا لم يجد نفسه في مكان ما، تركه وجاوزه إلى غيره، بحثا عن أسباب القنوع المرتبطة بالغنى.

لقد وظف الوراق مفهوم الرضا في سياق الشرط الذي جاء نتيجة لرؤيته للحياة، وقد رأى أن متاعها سراب خادع، وظل زائل، لا يبقى منه إلا ما أُنفق في وجوه البر والإحسان، فعلام الرضا بمنزل لا يرتضيه وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى -كما يقول الشنفرى-[50]:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزَّلُ
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقلُ

وفي تبدل الأصحاب، وتغير الخلان، وعدم أهليتهم بالثقة التي منحهم إياها الشاعر، يقول امرؤ القيس[51]:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك حدِّي، ما أُصاحِبُ صاحبًا من الناس إلاَّ خانني وتغيَّرا

يبدي الشاعر انزعاجه وتبرمه من عدم وفاء الأصحاب، وسرعة تغيرهم وتبدلهم، فهو يقول: كلما اصطفيت لي صاحبا وقرت به عيني، وظننت أني قد أحسنت الاختيار، سرعان ما أتركه، وليس هذا بسببي أنا، ولكن لأنه ينكث العهود، ولا يرعى حرمة الصحبة، فيخون ويتغير عليه دون سبب.

فمفهوم الرضا هنا يحيل إلى الاختيار والاصطفاء، وهو اختيار بمحض الإرادة وليس جبريا، ولكنه اختيار غير موفق، فكأن الشاعر ينعى على نفسه سوء اختياره، وثقته المفرطة في الناس. وقد استعمل الشاعر الشرط بـ(إذا) التي توحي بتكرار الاختيار، ومعاودته مرة تلو أخرى؛ لأنها بمعنى (كلما) التي تفيد تكرار الجواب بتكرر الشرط. وهذا مثل "قوله تعالى: (وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض)، كأنه قال: كلما ضربوا، أي: لا تكونوا كهؤلاء، إذا ضرب إخوانهم في الأرض"[52].

ومن ألوان الرضا في الشعر العربي الرضا بالحب والمحبوبة بصفته أحد أسس الحياة ومقوماتها؛ فقد شغلت المرأة -زوجة كانت أو محبوبة أو مجرد متخيل تستدعيه فنيات بناء القصيدة- حيزا كبيرا من اهتمام الشاعر العربي، وقد ظهرت في موضع المطلوب لا الطالب، ولذا فهي دائمة التمنّع، يترضّاها المُحبّ فلا ترضى، ويستميلها فلا تميل، يقول أبو تمام[53]:

تقي جمحاتي لست طوع مؤنبي وليس جنيني، وإن عذلت بمصحبي
فلم توفدي سخطا إلى متنصل ولم تنزلي عتبا بساحة معتب
رضيت الهوى والشوق خدنا وصاحبا فإن أنت لم ترضي بذلك فاغضبي

عبر أبو تمام عن اختياره الشوق والحب والهوى دأبا وديدنا ومنهجا لحياته بديلا عن الصحب والأخدان من خلال إثبات الفعل (رضيت) بصيغة الماضي المسند إلى الأنا الشاعرة، وعبر عن تمسكه بهذا المنهج من خلال الفعل نفسه منفيا، ليحدث طباق السلب حالة من التناقض يزيد المعنى قوة ووضوحا، فنجده يخاطب عاذلته، بقوله: عذلك لا يجدي نفعا؛ فلن يثنيني عن هذا الحب الذي أذاب قلبي وبرى جسدي شيء، حتى وإن كان غضبك وسخطك.

وقال جعفر السراج في عتابه لمحبوبته التي لم تنصفه، وإنما جارت عليه بحكمها[54]:

يـــا مـــن إذا رضـــيته حكمـــا جـــار علينـــا فـــي حكمـــه وســـطا
قـــد مـــدح الله أمـــة جُعلـــت فـــي محكـــم الـــذكر أمّـــة وســـطا

يبدي الشاعر أسفه من الجور الذي لحقه من معشوقته، فهو يعاتبها عتابا ليّنًا يوحي بالضعف والاستسلام، فيناديها مناداة الغائب (يا من)، صونا لاسمها من أن يُذكر، وتعريضا بجورها عليه، لا تصريحا به؛ تأدبًا وتلطفا معها، فيصف رضاه بها حَكَمًا عليه بأنه كان اختيارا وتفضيلا لها عمن سواها، وليس قسرا، ولكنه بعد ذلك وقع في حبائلها فأصبح لا يطيق فكاكا منها، وبرغم هذا فقد جارت عليه، وبغت، وسطت، وبطشت به.

وقد استعمل الشاعر أدوات بلاغية ساعدت على إبراز معاناته من محبوبته، بسبب اختياره واصطفائه لها وتفضيلها على غيرها، ومن تلك الأدوات الشرط بـ(إذا) الذي يدل على قصر المدة بين اختياره لها، وجورها عليه، فما إن اصطفاها ورضي بها، حتى بطشت به، وتنكرت له، ومن ذلك اقتباسه من القرآن تفضيل التوسط في الأمور، في إشارة إلى تفضيل الله تعالى لأمة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى﴾ [البقرة: 143]، كما اعتمد على الجناس التام المفروق[55] بين جملة (وسطا) المكونة من واو العطف، والفعل "سطا" الذي يعني البطش والقهر والغلبة، وبين لفظة (وسطا) التي بمعنى الوسطية والاعتدال.

ومن ذلك قول خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافرية[56]:

أبغـــي رضـــاك بطاعـــة مقرونـــة عنـــدي بطاعـــة ربـــي القـــدوسِ
فـــإذا زللـــت وجـــدت حلمـــك ضـــيقًا عـــن زلتـــي أبـــدا لفـــرط نحوســـي
ولقـــد رجـــوت بـــأن أعـــيش كريمـــة فـــي ظـــل طـــود دائـــم التعـــريسِ
ببقـــاء عـــزك، لا عـــدمت بقـــاءه فـــإذا أنـــا أصـــلى بحـــرّ شـــموسِ
يـــا ســـيدي مـــا هكـــذا حكـــم النهـــى حـــق الـــرئيس الرفـــق بـــالمرؤوسِ
فـــإذا رضـــيت لـــي الهـــوان رضـــيته وجعلـــت ثـــوب الـــذل خيـــر لبـــوسِ

يبلغ الخضوع بالشاعرة حدا يصل إلى قبولها واختيارها الذل والهوان إذا رضيه معشوقها أو رئيسها، أو ممدوحها، وهي مرحلة لا يصلها أحد إلا إذا كان لذلك الممدوح سلطة قوية ومطلقة على الشاعر أو المادح: سلطة مادية تتمثل في القدرة على رفعه أو خفضه، قتله أو العفو عنه، وبمعنى آخر: القدرة على التحكم في مصيره، أو سلطة معنوية قائمة على الحب والعشق، فالمحبوب -ولا

سيما المطلوب: رجلا أو امرأة- له سلطة نافذة على محبه، حتى أنه ليبذل كل ما يملك من أجل كسب رضاه.

فهي تستعمل المقارنة بين أنا الشاعر (ضمائر المتكلم): أبغي، عندي، ربي، زللت، زلتي، رجوت... إلخ ، وذات المخاطب (ضمائر الخطاب): رضاك، حلمك، عزك، رضيتَ؛ لتبدي ضعفها أمامه، بدلالة الألفاظ الدالة على التذلل والخضوع: زللت، رجوت، سيدي، وبدلالة قرنها طاعته بطاعة الله عز وجل، وقبولها ما يختاره لها في تحديد مصيرها.

إن الرضا -بمعنى الاختيار- في الشعر العربي لا يأتي في كل الأحوال اختياريا، ولكنه قد يكون إجباريا حين يوازن المرء بين ما يزينه وما يشينه، فقد يرضى بالأمر المؤلم إذا كان ذلك يزينه، ويرفض الأفضل إذا كان ذلك يحط من قدره، من ذلك قول أبي فراس الحمداني في رضاه بالسجن تفضيلا له على الهوان وذل الفرار [57]:

تحملت، خوف العار، أعظم خطة ... وأملت نصرا كان غير قريبِ
وللعار خلى رب "غسان" ملكه ... وفارق دين الله غير مصيبِ
ولم يرتغب في العيش "عيسى بن مصعب" ... ولا خف خوف الحرب قلب حبيبِ
رضيت لنفسي: "كان غير موفق" ... ولم ترض نفسي: "كان غير نجيبِ"

تبدو صورة الرضا في هذه المقطوعة ضبابية يكتنفها الشك في حقيقة هذا الرضا؛ فطباق السلب في البيت الأخير يعطينا انطباعا عن أن الشاعر كان مرغما على هذا الرضا، فالسجن ليس بالوضع المقبول لأي أحد، وإذا حالف السجنُ الأسرَ لفارس أمير تعقد الموقف.

لقد تركت مرحلة السجن في نفس أبي فراس أثرا بالغا وجرحا عميقا انعكس على طباعه ونفسه الراضية، فأضحى رضاه تظاهرا لا حقيقة، وهي نتيجة طبيعية للظروف العصيبة التي عايشها، فإذا هو كالأسد المقنوص أسيرا خلف قضبان الحديد بعد أن كان القانص ذا الصولات والجولات.

المبحث الرابع: الرضا بمعنى: الإعطاء حتى الإقناع

تتمحور فكرة الرضا -بمعنى الإعطاء حتى الإقناع-، في معظم الأحيان، حول العطاء المادي الصرف؛ لأن الإعطاء في أصله متعلق بما يخرج من يد المُعطِي إلى يد المُعطَى، ولأن النفوس جبلت على

حب المال، والاستزادة منه، ولذلك فقد تنبه الشعراء والحكماء إلى ذلك، وأصبح شعرهم في هذا الموضوع سائرا بين الناس وجاريا مجرى الحكمة، وفي هذا المعنى يقول الإمام علي -كرم الله وجهه-[58]:

واحـــذر مصـــاحبة اللئـــام فـــإنهم منعـــوك صـــفوَ ودادهـــم وتصـــنّعوا
أهـــل التصـــنع مـــا أنلـــتهم الرضـــى وإذا منعـــت فسُـــمُّهُم لـــك مُنقـــعُ

يأتي الرضا في هذين البيتين بمعنى الإعطاء حتى الإقناع، فقوله: أنلتهم الرضى معناه: أنلتهم المال حتى رضوا بذلك وقنعوا به، وقد اتضح من البيتين أن الرضا بالمال يجعل اللئام من الناس يداهنونك ويتصنعون ودهم لك، ولكنهم بخلاف ذلك إذا ما مُنعوا العطاء، فقد يكون قربهم منك سمًّا زعافًا، وثقتك بهم هلاكا لك، ولذلك فقد حذر منهم.

وهذان البيتان على إيجازهما قد جريا مجرى الحكمة والمثل؛ لما انطويا عليه من خلاصة تجربة، ولما يحملانه من خبرات متراكمة تبين حقيقة الناس، وتبايُن معادنهم، واختلاف أخلاقهم.

وإذا كان الرضا يأتي كثيرا في الشعر العربي القديم بمعنى الرضا الإيجابي، وهو الإعطاء حتى الإقناع، فإنه قد يرد بمعناه السلبي، أي عدم الاقتناع بالعطاء مهما بلغ، وهذا النوع لا يكون إلا في سياق الحسد، ومن ذلك قول محمود الوراق في بعض حساده[59]:

أعطيـــتُ كـــل النـــاس منـــي الرضـــا إلا الحســـــودَ فإنـــــه أعيـــــاني
لا أنَّ لـــــي ذنبًـــــا إليـــــه علمتُـــــه إلا تظـــــاهُرَ نعمـــــة الـــــرحمنِ
يطـــوي علـــى حنـــقٍ حشـــاه لِأن رأى عنـــدي كمـــالَ غنـــىً وفضـــلَ بيـــانِ
مـــــا إنْ أرى يُرضـــــيه إلا ذلَّتـــــي وذهـــــابُ أمـــــوالي وقطـــــعُ لســـــاني

فالحاسد لا يقتنع بما أُعطي من المحسود، مهما كان ذلك العطاء، ولا يقنعه إلا زوال النعمة عن المحسود، وقد عقد الشاعر مقارنة بين الناس الأسوياء وهم عامة الناس، وبين الحسود، فرغم كثرة العامة فقد استطاع أن يرضيهم، ورغم فردية الحسود فإنه لم يستطع أن يرضيه، إذ تنطوي جوانحه على نار تضطرم وجحيم يستعر، ولا يطفئها إلا ذهاب النعمة، فإرضاء هذا النوع من الناس ضرب من المستحيل، ونوع من العبث، وفي هذا المعنى يقول معاوية بن أبي سفيان: "كل الناس قادر أن أرضيه، إلا حاسد نعمةٍ لا يرضيه إلا زوالها"[60].

وفي هذا المعنى يقول شاعر[61]:

وكيـــف يـــداري المـــرء حاســـد نعمـــة إذا كـــان لا يرضـــيه إلّا زوالهـــا؟

فيقف الشاعر هنا متسائلا، لا يبحث عن إجابة عن كيفية مدارة الحاسد، ولكنه يستفهم استفهاما غرضه النفي، إذ إن النفي بالاستفهام أبلغ منه بأي أداة من أدوات النفي الحقيقية.

ويقول شاعر في وصف سيف، معجبا بمضائه[62]:

إنـــي لبســـت لحـــربكم فضفاضـــةً كـــالنّهي رقرقـــه ريـــاح شـــمالِ
ومهنّـــدًا كـــالملح لـــيس لحـــدّه عهـــدٌ بتمويـــهٍ ولا بصـــقالِ
ترضـــيك هزّتـــه إذا مـــا شِـــمته وتقـــول حـــين تـــراه: لمعـــة آلِ

في هذا المقطع لا يقع الإرضاء من عاقل، أو من كائن حيّ، ولكنه إرضاء من السيف الذي يتقلده الشاعر في حرب خصومه وأعدائه، وهنا يستعين الشاعر بالاستعارة المكنية لتوضيح الصورة التي يرسمها للسيف في ميدان المعركة، فهو يقع حيث يريد حامله، ويمضي في جسد العدو ولا ينبو، ولشدة صفائه ولمعانه فهو شفاف وكأنه سراب بقيعة، وهذا اللمعان طبيعة فيه ونحيزة، لا بفعل الصقل والتمويه، وقد قرب صورة هذا المشهد تشبيهه بالملح، نصاعة وبياضا.

فلجودة هذا السيف وصلابة معدنه فإنه طوع بنان صاحبه، فما إن يشير به حتى يهوي على عدوه ماضيا في جسده، وكأنه إنسان عاقل يعي ما يراد منه، وقريب من هذا المعنى قول المتنبي يصف فرسه[63]:

رجـــلاه فـــي الـــركض رجـــلٌ واليـــدانِ يـــدٌ وفعلُـــه مـــا تريـــدُ الكـــفُ والقـــدمُ

وقال رجل يصف الخضاب بعد أن نصحته زوجته بتخضيب شعره الأبيض، ويصف علاقته بالمرأة بعد أن غزا الشيب رأسه[64]:

بكـــرتْ تُحسّـــن لـــي ســـواد خضـــابي لكـــــأنّ يعيـــــدني لشـــــبابي
وإذا أديـــــم الوجـــــه أخلقـــــه البلـــــى لـــم ينتفـــع فيـــه بحســـن خضـــابِ
مـــــاذا تـــــرى يجـــــدي عليـــــك ســـــواده وخـــلاف مـــا يرضـــيك تحـــت ثيـــابي
مـــا الشـــيب عنـــدي والخضـــاب لواصـــف إلّا كشـــــمس جلّلـــــت بســـــحابِ
تخفـــي قلـــيلا ثـــم يقشـــعها الصّـــبا فيصـــير مـــا ســـترت بـــه لـــذهابِ

يتعلق الرضا هنا بالعلاقة بين الرجل والمرأة/ الشباب والمشيب، علاقة بين تمويه الظاهر وحقيقة الباطن، فالشاعر يعترف بعجزه عن إرضاء المرأة، بسبب تقدم سنه، وضعف قوته، فيبدي لها اعتذاره عن قبول ما طلبته منه، وهو تخضيب شعره الأبيض بالخضاب الأسود؛ لكي يبدو شابا أبدا، ويزيل عن نفسه مظهر المشيب، معللا ذلك بأن الخضاب لا يغير من الحقيقة شيئا، فجسمه المخفي تحت ثيابه قد وهن، وقوته قد خارت، فلم يعد قادرا على مجاراة سواد شعره.

وقد دعم قوله هذا بتشبيه يجري مجرى الحكمة، أو المثل، فهو يشبه الشيب والخضاب بالشمس المغطاة بالسحب، والسحب سريعة التحرك، دائمة التغير، إذ لا تلبث أن تنقشع وتظهر الشمس من جديد، وهو تشبيه تمثيلي، يتضمن مشاهد حركة الشمس والسحب، وانقشاعها، ثم ظهور الشمس من جديد، وبسرعة، وقد ناسب بياض الشمس لون الشيب، وسواد السحب الخضاب، وسرعة انقشاع السحب واضمحلالها سرعة امّحاء الخضاب؛ وكل هذا زاد من قيمة الصورة الفنية التي تؤكد عدم قدرة الشيخ المسن على إرضاء المرأة، حتى تقتنع.

النتائج:

- يعد الرضا بمعناه المطلق أحد أبرز موضوعات الشعر العربي؛ تردد مفهومه صراحة وضمنا في تضاعيف دواوين الشعر العربي التي تنوعت دلالته المعجمية بين التسليم بالقضاء والقدر، والقناعة بما قسمه الله للإنسان من حظوظ الحياة، والحب والصفح والتجاوز، والاختيار والانتقاء، والإعطاء حتى الاقتناع.
- ترددت لفظة الرضا في سياق النصوص الشعرية بصيغها الصرفية المختلفة، وظفها الشعراء حسب مقتضيات النص، وربما استعاض عن لفظها المباشر بآخر يحمل الدلالة ذاتها، كما وظفها منوعة بين الخبر والإنشاء، فتارة يسوقها في التقرير وتارات في الطلب؛ لترسيم صورة الرضا ودلالته.
- حازت صورة الرضا عن عطاء الله النصيب الأكبر من ألوان الرضا في الشعر العربي لاسيما الرضا عن الرزق، وقد جاءت ألفاظه مسندة إلى الأنا الشاعرة بصيغ الفعل (رضيت- أرضى)، واسم الفاعل (أنا راض)؛ إقرارا من الشعراء بخوض تجربة الرضا التي بدت عسيرة يصعب تقبلها في جل صورها.

- أن الرضا بمعنى الحب والصفح والتجاوز غالبا ما يرتبط باسترضاء الأدنى منزلة للأعلى منزلة: اجتماعية أو سياسية أو علمية أو غيرها.
- حازت المرأة قدرا كبيرا من موضوع الرضا في الشعر العربي، حيث سعى الشعراء إلى خطب ودها واسترضائها، واستعانوا في سبيل ذلك بكل الوسائل وسلكوا كل السبل؛ كونها المطلوبة والمعشوقة.
- كان الشعراء يستعينون بأدوات فنية ووسائل بلاغية لتأكيد ما يذهبون إليه، ومن ذلك أنهم غالبا ما يختتمون حديثهم عن الرضا بما يشبه المثل أو الحكمة؛ ليكون ذلك أشد تأثيرا في نفس المتلقي.

الهوامش والإحالات:

(1) ابن منظور، لسان العرب: 323/14.
(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: 19 /465.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: 2/ 402.
(4) عمر، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة: 2/ 903.
(5) الجرجاني، التعريفات: 111.
(6) الحافظ أبو بكر، الرضا عن الله: 34.
(7) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: 177.
(8) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل: حديث رقم (10716).
(9) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: 177.
(10) ابن الأعرابي، الزهد وصفة الزاهدين: 32.
(11) علوان، الرضا عن الحياة وعلاقته بالوحدة النفسية: 475.
(12) نفسه: 478.
(13) سليمان، الرضا عن الحياة وعلاقتها بتقدير الذات: 121.
(14) الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي: 167.
(15) ينظر: البصير، بناء الصورة الفنية: 83، 84.
(16) جرادات، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث: 552.
(17) أبو العتاهية، ديوانه: 57.
(18) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 1/ 491.

(19) محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي: 65.

(20) نفسه: 67.

(21) أبو العتاهية، ديوانه: 26.

(22) ابن فارس، مقاييس اللغة: 33/5.

(23) ابن أبي طالب، ديوانه: 27.

(24) ابن الجهم، ديوانه: 198.

(25) أبو العتاهية، ديوانه: 258.

(26) نفسه: 24.

(27) ينظر: الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب: 132.

(28) ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم: 424.

(29) ابن أبي طالب، ديوانه: 70.

(30) ينظر: الميداني، البلاغة العربية: 99/2.

(31) الشافعي، ديوانه: 81.

(32) المتنبي، ديوانه: 310.

(33) عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي: 10.

(34) المعري، سقط الزند: 208.

(35) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 399/3.

(36) عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي العربي: 13.

(37) ينظر: كولريدج، النظرية الرومانتيكية في الشعر: 240.

(38) أبو فراس، ديوانه: 106.

(39) ينظر: ابن جني، اللمع في العربية: 73.

(40) الحمداني، ديوانه: 166

(41) نفسه: 264.

(42) ينظر: عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي العربي: 243، 245.

(43) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 263/2.

(44) الحنفي، ديوانه: 7.

(45) ابن النطاح، ديوانه: 25.

(46) نفسه: 25.

(47) ابن شداد، ديوانه: 36.

(48) خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: 111.

(49) الوراق، ديوانه: 165.

(50) الشنفرى، ديوانه: 58.

(51) امرؤ القيس، ديوانه: 69.

(52) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني: 370-371.

(53) أبو تمام، ديوانه: 87.

(54) السيوطي، المحاضرات والمحاورات: 309.

(55) ينظر: الميداني، البلاغة العربية: 2/ 490.

(56) السيوطي نزهة الجلساء في أشعار النساء: 51.

(57) الحمداني، ديوانه: 54.

(58) ابن أبي طالب، ديوانه: 67.

(59) الوراق، ديوانه: 197.

(60) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة: 601.

(61) ابن الخطيب، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: 260.

(62) التوحيدي، البصائر والذخائر: 7/ 181.

(63) المتنبي، ديوانه: 332.

(64) ابن عبد ربه، العقد الفريد: 2/ 265، 366.

المراجع:

1) الأسدي، عبيد بن الأبرص، ديوانه، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.
2) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوانه، تحقيق: محمد حسين نصار، مكتبة الآداب، القاهرة، 1987م.
3) البحتري، أبو عبادة الوليد الطائي، ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
4) بدوي، عبده، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.
5) ابن برد، بشار بن بهمن، ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر عاشور، الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
6) البصير، كامل، بناء الصورة الفنية في البيان العربي: موازنة وتطبيق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1987م.
7) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، 1998م.

8) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
9) جرادات، رائد وليد، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر): نازك الملائكة أنموذجا، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج29، ع1-2، 2013م.
10) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.
11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
12) ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د.ت.
13) ابن الجهم، علي، ديوانه، تحقيق: مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
14) ابن حجر، امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1958م.
15) حسان بن ثابت، تيم الله بن ثعلبة، ديوانه، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
16) الحمداني، أبو فراس، ديوانه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1944م.
17) الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، 2004م.
18) الحنفي، بكر بن النطاح، ديوانه، تحقيق: حاتم صالح، مطبعة المعارف، بغداد، 1975م.
19) الخطيب التبريزي، يحيى بن علي الشيباني، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
20) ابن الخطيب، محمد بن قاسم، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، 1423هـ.
21) خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
22) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مكتبة الحياة، بيروت، 1988م.
23) ابن رباح، نصيب، ديوانه، تحقيق: داود سلوم، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1967م.
24) ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس، ديوانه، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003م.
25) الرياحي، سحيم بن وثيل، ديوانه، تحقيق: محمد فليح حسن، دار رند للطباعة والنشر، الأردن، 2011م.
26) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس. دراسة وتحقيق: علي شيري، دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ت.
27) السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

28) ابن أبي سلمى، زهير، ديوانه، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
29) السلمي، خفاف بن ندبة، ديوانه، جمع وتحقيق: نوري حمودي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968م.
30) سليمان، عادل محمود، الرضا عن الحياة وعلاقتها بتقدير الذات لدى مديري المدارس الحكومية ومديرات محافظات فلسطين الشمالية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية. نابلس، 2003م.
31) السليمي، عباس بن مرداس، ديوانه. جمع وتحقيق: الجبوري، يحيى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991م.
32) السيوطي جلال الدين، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن، د.ت.
33) السيوطي، جلال الدين، المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ.
34) الشافعي، محمد بن إدريس، ديوانه، تحقيق: محمد خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985م.
35) ابن شداد، عنترة، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.
36) الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، 2005م.
37) الطائي، حاتم بن عبد الله بن سعد، ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
38) ابن أبي طالب، الإمام علي، ديوانه، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1988م.
39) طرفة، عمرو بن العبد بن سفيان، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 2002م.
40) العبسي، عروة بن الورد، ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
41) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ.
42) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1986م.
43) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م.
44) علوان، نعمات، الرضا عن الحياة وعلاقته بالوحدة النفسية، دراسة ميدانية على عينة من زوجات الشهداء الفلسطينيين، مجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، ع16، 2006م.
45) عمر، أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.
46) عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت.
47) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
48) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
49) كولريدج، النظرية الرومانتيكية في الشعر، سيرة ذاتية، ترجمة: عبد الحكيم حسان، دار المعارف، القاهرة، 1971م.

50) المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوانه، دار بيروت، لبنان، 1983م.
51) محمد، الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1990م.
52) محمد، سراج الدين، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، لبنان، 1999م.
53) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
54) المعري، أبو العلاء، اللزوميات، مطبعة المحروسة، مصر، 1895م.
55) المعري، سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دار صادر، بيروت، 1957م.
56) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1977م.
57) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت. د.ت.
58) الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1996م.
59) الوراق، محمود، ديوانه، تحقيق: وليد قصاب، مؤسسة الفنون، عجمان، 1991م.
60) الوطواط، برهان الدين محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

Arabic References

1) al-Asadī, ʿUbayd ibn al-Abraṣ, Dywānuh, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 1994, (in Arabic).
2) al-Aʿshá al-Kabīr, Maymūn ibn Qays, Dywānuh, E. Muḥammad Ḥusayn Naṣṣār, Maktabat al-Ādāb, al-Qāhirah, 1987, (in Arabic).
3) al-Buḥturī, Abū ʿUbādah al-Walīd al-Ṭā'ī, Dywānuh, E. Ḥasan Kāmil al-Ṣayrafī, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, N. D, (in Arabic).
4) Badawī, ʿAbduh, al-Shuʿarā' al-Sūd & khaṣā'iṣuhum fī al-shiʿr al-ʿArabī, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 1988, (in Arabic).
5) Ibn Burd, Bashshār ibn Bahman, Dywānuh, E. Muḥammad al-Ṭāhir ʿĀshūr, al-Thaqāfah al-ʿArabīyah, al-Jazā'ir, 2007, (in Arabic).
6) al-Baṣīr, Kāmil, binā' al-Ṣūrah al-Fannīyah fī al-Bayān al-ʿArabī: muwāzanah & taṭbīq, Maṭbaʿat al-Majmaʿ al-ʿIlmī al-ʿIrāqī, al-ʿIrāq, 1987, (in Arabic).

7) al-Tawḥīdī, Abū Ḥayyān, al-Baṣā'ir & al-dhakhā'ir, E. Widād al-Qāḍī, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1998, (in Arabic).
8) al-Jāḥiẓ, Abū ʿUthmān ʿAmr ibn Baḥr, al-Bayān & al-Tabyīn, E. ʿAbd al-Salām Hārūn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, N. D, (in Arabic).
9) Jarādāt, Rā'id Walīd, Binyat al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-naṣṣ al-shiʿrī al-ḥadīth (al-Ḥurr): Nāzik al-Malā'ikah anmūdhajan, Majallat Jāmiʿat Dimashq, Sūriyā, V 29, I 1-2, 2013, (in Arabic).
10) al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān, altʿryfāt, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1984, (in Arabic).
11) al-Jamḥī, Muḥammad ibn Sallām, Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shuʿarā', Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1998, (in Arabic).
12) Ibn Jinnī, al-Lumaʿ fī al-ʿArabīyah, E. Fā'iz Fāris, Dār al-Kutub al-Thaqāfīyah, al-Kuwayt, N. D, (in Arabic).
13) Ibn al-Jahm, ʿAlī, Dywānuh, E. Mardam Bik, Dār al-Āfāq al-Jadīdah, Bayrūt, 1980, (in Arabic).
14) Ibn Ḥajar, Imru' al-Qays, Dywānuh, E. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Maʿārif, Miṣr, 1958, (in Arabic).
15) Ḥassān ibn Thābit, Tayyim Allāh ibn Thaʿlabat, Dywānuh, ḍabṭ & taṣḥīḥ: ʿAbd al-Raḥmān al-Barqūqī, Dār al-Andalus lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, Bayrūt, 1987, (in Arabic).
16) al-Ḥamdānī, Abū Firās, Dywānuh, al-Maṭbaʿah al-Kāthūlīkīyah, Bayrūt, 1944, (in Arabic).
17) al-Ḥamawī, Ibn ḥujjat, Khizānat al-adab & ghāyat al-arab, E. ʿIṣām shqyw, Dār & Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, Dār al-biḥār, Bayrūt, 2004, (in Arabic).
18) al-Ḥanafī, Bakr ibn alnṭāḥ, Dywānuh, E. Ḥātim Ṣāliḥ, Maṭbaʿat al-Maʿārif, Baghdād, 1975, (in Arabic).
19) al-Khaṭīb al-Tabrīzī, Yaḥyá ibn ʿAlī al-Shaybānī, sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah, E. Gharīd al-Shaykh, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2000, (in Arabic).
20) Ibn al-Khaṭīb, Muḥammad ibn Qāsim, Rawḍ al-akhyār al-Muntakhab min Rabīʿ al-abrār, Dār al-Qalam al-ʿArabī, Ḥalab, 1423, (in Arabic).
21) Khulayyif, Yūsuf, al-shuʿarā' al-ṣaʿālīk fī al-ʿaṣr al-Jāhilī, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, N. D, (in Arabic).

22) al-Rāghib al-Aṣfahānī, Muḥāḍarāt al-Udabā' & muḥāwarāt al-shuʿarā' & al-bulaghā', Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt, 1988, (in Arabic).
23) Ibn Rabāḥ, Naṣīb, Dywānuh, E. Dāwūd Sallūm, Maktabat al-Irshād, Baghdād, 1967, (in Arabic).
24) Ibn al-Rūmī, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn al-ʿAbbās, Dywānuh, E. Ḥusayn Naṣṣār, Dār al-Kutub & al-Wathā'iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, 2003, (in Arabic).
25) al-Riyāḥī, Suḥaym ibn Wathīl, Dywānuh, E. Muḥammad Fulayḥ Ḥasan, Dār Rand lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, al-Urdun, 2011, (in Arabic).
26) al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá al-Ḥusaynī al-Wāsiṭī, Tāj al-ʿarūs min Jawāhir al-Qāmūs. dirāsah & E. ʿAlī shyry, Dār Maktabat al-ḥayāh, Lubnān, N. D, (in Arabic).
27) al-Sakkākī, Miftāḥ al-ʿUlūm, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1987, (in Arabic).
28) Ibn Abī Salmá, Zuhayr, Dywānuh, sharḥ & taqdīm: ʿAlī Ḥasan Fāʿūr, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1988, (in Arabic).
29) al-Sulamī, Khaffāf ibn Nudbah, Dywānuh, jamʿ & E. Nūrī Ḥammūdī, Maṭbaʿat al-Maʿārif, Baghdād, 1968, (in Arabic).
30) Sulaymān, ʿĀdil Maḥmūd, al-Riḍā ʿan al-ḥayāh & ʿalāqatuhā bi-taqdīr al-dhāt ladá mudīrī al-Madāris al-ḥukūmīyah & mudīrāt Muḥāfaẓāt Filasṭīn al-Shamālīyah, Risālat mājistīr ghayr manshūrah, Kullīyat al-Dirāsāt al-ʿUlyā, Jāmiʿat al-Najāḥ al-Waṭanīyah. Nābulus, 2003, (in Arabic).
31) al-Sulaymī, ʿAbbās ibn Mirdās, Dywānuh. jamʿ & E. al-Jubūrī, Yaḥyá, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1991, (in Arabic).
32) al-Suyūṭī Jalāl al-Dīn, Nuzhat al-julasā' fī ashʿār al-nisā', Maktabat al-Qur'ān, N. D, (in Arabic).
33) al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, al-Muḥāḍarāt & al-Muḥāwarāt, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1424, (in Arabic).
34) al-Shāfiʿī, Muḥammad ibn Idrīs, Dywānuh, E. Muḥammad Khafājī, Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah, al-Qāhirah, 1985, (in Arabic).

35) Ibn Shaddād, ʿAntarah, Dywānuh bi-sharḥ al-Khaṭīb al-Tabrīzī, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 1992, (in Arabic).

36) al-Ṣaʿīdī, ʿAbd al-Mutaʿāl, Bughyat al-Īḍāḥ li-talkhīṣ al-Miftāḥ, Maktabat al-Ādāb, 2005, (in Arabic).

37) al-Ṭā'ī, Ḥātim ibn ʿAbd Allāh ibn Saʿd, Dywānuh, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2002, (in Arabic).

38) Ibn Abī Ṭālib, al-Imām ʿAlī, Dywānuh, Maktabat Muṣṭafá al-Ḥalabī, al-Qāhirah, 1988, (in Arabic).

39) Ṭarafah, ʿAmr ibn al-ʿAbd ibn Sufyān, Dywānuh, Dār Bayrūt lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, Bayrūt, 2002, (in Arabic).

40) al-ʿAbsī, ʿUrwah ibn al-Ward, Dywānuh, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1994, (in Arabic).

41) Ibn ʿAbd Rabbih, Aḥmad ibn Muḥammad, al-ʿIqd al-farīd, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1404, (in Arabic).

42) Abū al-ʿAtāhiyah, Ismāʿīl ibn al-Qāsim, Dywānuh, Dār Bayrūt lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, Lubnān, 1986, (in Arabic).

43) ʿUṣfūr, Jābir, al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-Turāth al-naqdī & al-balāghī ʿinda al-ʿArab, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍā', 1992, (in Arabic).

44) ʿAlwān, Niʿmāt, al-Riḍā ʿan al-ḥayāh & ʿalāqatuhu bi-al-waḥdah al-nafsīyah, dirāsah maydānīyah ʿalá ʿayyinah min Zawjāt al-shuhadā' al-Filasṭīnīyīn, Majallat al-Jāmiʿah al-Islāmīyah, Filasṭīn, ʿ16, 2006, (in Arabic).

45) ʿUmar, Aḥmad Mukhtār & ākharūn, Muʿjam al-lughah al-ʿArabīyah al-muʿāṣirah, ʿĀlam al-Kutub, al-Qāhirah, 2008, (in Arabic).

46) ʿAwnī, Ḥāmid, al-Minhāj al-Wāḍiḥ lil-balāghah, al-Maktabah al-Azharīyah lil-Turāth, N. D, (in Arabic).

47) Ibn Fāris, Maqāyīs al-lughah, E. ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1979, (in Arabic).

48) Ibn Qutaybah, al-shiʿr & al-shuʿarā', Dār al-ḥadīth, al-Qāhirah, 1423, (in Arabic).

49) kwlrydj, al-naẓarīyah alrwmāntykyh fī al-shiʿr, sīrat dhātīyah, tarjamat : ʿAbd al-Ḥakīm Ḥassān, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, 1971, (in Arabic).

50) al-Mutanabbī, Abū al-Ṭayyib Aḥmad ibn al-Ḥusayn, Dywānuh, Dār Bayrūt, Lubnān, 1983, (in Arabic).

51) Muḥammad, al-Walī, al-Ṣūrah al-shiʿrīyah fī al-khiṭāb al-balāghī & al-naqdī, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍā', Bayrūt, 1990, (in Arabic).

52) Muḥammad, Sirāj al-Dīn, al-zuhd & al-taṣawwuf fī al-shiʿr al-ʿArabī, Dār al-Rātib al-Jāmiʿīyah, Lubnān, 1999, (in Arabic).

53) al-Murādī, al-Janá al-Dānī fī ḥurūf al-maʿānī, E. Fakhr al-Dīn Qabāwah, & Muḥammad Nadīm Fāḍil, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1992, (in Arabic).

54) al-Maʿarrī, Abū al-ʿAlā', al-Luzūmīyāt, Maṭbaʿat al-Maḥrūsah, Miṣr, 1895, (in Arabic).

55) al-Maʿarrī, Saqṭ al-zand, Dār Bayrūt lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, Bayrūt, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1957, (in Arabic).

56) al-Muqrī, Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, E. Iḥsān ʿAbbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, 1977, (in Arabic).

57) Ibn manẓūr, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn, Lisān al-ʿArab, Dār Ṣādir, Bayrūt. N. D.

58) al-Maydānī, ʿAbd al-Raḥmān, al-balāghah al-ʿArabīyah, Dār al-Qalam, Dimashq, al-Dār al-Shāmīyah, Bayrūt, 1996, (in Arabic).

59) al-Warrāq, Maḥmūd, Dywānuh, E. Walīd Qaṣṣāb, Mu'assasat al-Funūn, ʿAjmān, 1991, (in Arabic).

60) al-Waṭwāṭ, Burhān al-Dīn Muḥammad ibn Ibrāhīm, Ghurar al-Khaṣā'iṣ al-wāḍiḥah & ʿurar al-naqā'iḍ al-fāḍiḥah, ḍabaṭahu & ṣaḥḥaḥahu & ʿallaqa ʿalá ḥawāshīhi: Ibrāhīm Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2008, (in Arabic).